

التربية الأخلاقية والنمو الأخلاقي عند كولبرج (Kohlberg)
والإمام الغزالي (دراسة مقارنة)

إعداد

دكتورة

أروى عبد المنعم الرفاعي

أستاذ مساعد قسم التربية الإسلامية والمقارنة

كلية التربية/ جامعة أم القرى

ملخص

هدفت الدراسة إلى مقارنة معايير التربية الأخلاقية وتصور مفهوم الأخلاق والنمو الأخلاقي عند كل من الغزالي وكولبرج (Kohlberg) ، وقد استخدمت الدراسة المنهج التحليلي الاستنباطي لتصورات العالمين لمفهوم الأخلاق ونموها وتنميتها كما ورد في نظريتهما للنمو الأخلاقي، وقد بينت نتائج الدراسة إلى أن الأخلاق كما وردت في نظرية الغزالي للنمو الخلاقي لها جانبان فطري ومكتسب وأن هناك وسائل للتربية الأخلاقية منها: ... ومراحل، أما كولبرج فيرى بأن الأخلاق تنبت وأن هناك خمس وتتفق النظرية الأخلاقية للغزالي مع نظريات التربية الأخلاقية المعاصرة.

الكلمات المفتاحية: التربية الأخلاقية، النمو الأخلاقي، الأخلاق، الغزالي، كولبرج.

Comparative Study between Moral Education and Moral Growth in al-Ghazali's Philosophy and Kohlberg Theory

Abstract

This research aims to investigate and clarify the concept of morals according to al-Ghazali, in addition to its relationship with mysticism, and the contemporary educational applications of al-Ghazali's moral theory. The major conclusions of the study are: a) al-Ghazali differentiates between nature, habit and good manners as different causes of moral development. b) al-Ghazali discussed the moral education methods and their stages. c) al-Ghazali's moral theory is consistent with contemporary moral education theories.

Keywords: Ethics, Sufism, al-Ghazali, Moral Education

التمهيد:

نالت الأخلاق وتربيتها اهتماماً كبيراً من الفلاسفة والعلماء منذ التاريخ الإنساني؛ لأهميتها الكبيرة في تعليم الفرد قيم المجتمع وعاداته ودوره فيه، ومسؤولياته تجاه نفسه والآخرين، ليكون قادراً على التكيف مع مجتمعه وبيئته، قادراً على التمييز بين الصواب والخطأ. والتربية الأخلاقية ضرورية للمجتمع ضرورتها للفرد إذ تجعل أفرادها متماسكين ضمن إطار اجتماعي واحد وذلك بإكسابهم القيم والمعايير والاهتمامات المشتركة. كما أن الأخلاق تمكن الفرد وتسهل عليه مهمة التكيف مع المجتمع والتعايش مع أفرادها بأمن وسلام.

ولقد كانت الأخلاق وتربيتها والالتزام فيها محط اهتمام الديانات السماوية الثلاث؛ من أجل تنظيم المجتمعات الإنسانية. فعندما بعث الله تعالى موسى عليه السلام إلى بني إسرائيل كان يحثهم على التقيد في الوصايا العشر "لا تسرق، لا تقتل، لاتزن، لا... " والتمسك بالأخلاق الحميدة في عصر انتشرت فيه الفوضى وتلاشت الضوابط الأخلاقية. ودعا نبي الله عيسى عليه السلام إلى المحبة والتسامح في زمن انتشرت فيه الحروب والنزاعات. وكانت الأخلاق الحميدة محط اهتمام الاسلام؛ فعند مجيء الإسلام اهتم بها ودعا إلى التحلي بها، واعتبرها جوهر رسالته السماوية، حيث قال سيدنا محمد في خطبة الوداع " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (البخاري، ٢٠٠٤)، وقدم عليه الصلاة والسلام النموذج الأمثل في دعوته لتنظيم المجتمعات الجاهلية التي سادتها الموبقات والمحارم والردائل وكما جاء في ذكر أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وما أدبته الآيات القرآنية (المومني، ٢٠٠٥)، حيث قال تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (القلم: ٤).

مفهوم الأخلاق لغة: الطبيعة وجمعها أخلاق والخلق: السجية، والخلقة: بمعنى الفطرة، والخلق هو الدين والطبع وحقيقته: وصف لصورة الإنسان الظاهرة والباطنة هي نفسه، وهي أوصاف حسنة وقيحة (ابن منظور، ١٤١٤ هـ، ج ١٠/ص ٨٦).

مفهوم الأخلاق اصطلاحاً: يعد جان بياجيه أول من تحدث عن مفهوم النمو الأخلاقي، ففي عام ١٩٣٢ نشر بياجيه أول بحث له في التربية الخلقية بعنوان "الحكم الخُلقي لدى الطفل" (Moral Judgment of Child) (الكيلاني، ١٩٩٢). واستخدم علماء النفس مداخل مختلفة لدراسة الأخلاق أدت إلى صياغة تعريفات متباينة قامت على معايير متفاوتة، ولعل أبرز هذه المعايير: سلوك مساعدة الغير، السلوك الموافق للمجتمع، تمثل معايير المجتمع، الشعور بالذنب، الإيثار والغيرية، التفكير في العدالة (الفرا، ٢٠٠١).

ويعرف توك وعديس وقطامي (١٨٨، ٢٠٠٣) الأخلاق بأنها: "جملة التغيرات النوعية التي تطرأ على الأحكام الخلقية للفرد أثناء فترة نموه". كما عرف يالجن (١٤٢٣ هـ) الأخلاق بأنها "علم الخير والشر والحسن والقبيح، وله قواعده التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه".

ويعرف ابن مسكويه الخلق بأنه: "حال للنفس، داعية إلى أفعالها من غير فكر ولا روية، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين: منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر، ثم يستمر عليه أولاً حتى يصير ملكة وخلقاً" (عبدالغني، ١٩٩٢).

ويتبين من التعريفات السابقة لمفهوم الأخلاق أنها تشير إلى أنها سلوك ظاهر يستدل منها على أفعال الخير والشر عند الانسان، وأن لها معايير وضوابط يقرها المجتمع ويلتزم بها أفراد.

ومفهوم الأخلاق في الإسلام نابع من القرآن الكريم والسنة النبوية، والقواعد الأخلاقية في التربية الإسلامية تنقرر من خلال قبول السلوك أو عدم قبوله عند الله وعند رسوله (الجقندي، ٢٠٠٣). وتقوم الأخلاق في الإسلام على قاعدة التقوى بمعنى الاتقاء والامتناع عن كل ما حرمه الله عز وجل، وهي موصولة بالإيمان بالله، فالعقيدة والأخلاق حقيقتان لا تنفصلان. ويؤكد الإسلام أنه لا خلق بغير إيمان ولا إيمان بغير خلق، وأن الإيمان الصالح أساس الخلق. ويقول الإمام أبو حامد الغزالي "حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق"، وقد ذكر سبحانه وتعالى صفات المؤمنين والمنافقين في كتابه وهي ثمرة حسن الخلق وسوء الخلق، يقول سبحانه وتعالى: { قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ } {١} الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ } {٢} وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ } {٣} وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ } {٤} وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ } {٥} (المؤمنون: ١-٥) (عقله، ١٩٨٦، ص ٤١).

ويعد النمو الأخلاقي من الأسس الهامة في بناء شخصية الفرد وتماسكها، وعلى الرغم من أهمية هذا الجانب في الشخصية، إلا أنه لم ينل الاهتمام الكافي من البحث في الدراسات النفسية والتربوية، بالقدر الذي نالته جوانب النمو الأخرى، فلم يهتم علماء النفس بالنمو الأخلاقي إلا منذ زمن قريب. وبدأ العلماء والباحثون بدراسة النمو الأخلاقي في السنوات الأخيرة، وظهرت بعض النظريات النفسية التي فسرت النمو الأخلاقي وكيفية تطوره (القران والبيرقدار، ٢٠٠١؛ المومني، ٢٠٠٥)، ومن هنا جاء الاهتمام بهذا البحث في تركيز الضوء على مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكولبرج.

مشكلة البحث وأسئلته:

لقد كثرت في هذا العصر الجرائم والمشكلات الأخلاقية، وأصبحت هذه المشكلات الأخلاقية تؤرق أمن المجتمعات وسعادتهم، ويلقي الكثير من الباحثين والتربويين الأمل على

التربية الأخلاقية ومؤسسات المجتمع المسؤولة عنها في معالجة هذه المشكلات الاجتماعية والأخلاقية. وقد تناول مفهوم الأخلاق والتربية الأخلاقية الكثير من العلماء القدامى والمعاصرين؛ وعند البحث عن هذا الموضوع نلاحظ أن دور العلماء المسلمين غامضاً وغير واضح في هذا المضمار، ومن هنا جاء الاهتمام بهذه الدراسة في ابراز نظرية (فلسفة) العالم المسلم الامام الغزالي في التربية الأخلاقية ومقارنتها مع نظرية أحد العلماء الغربيين المعاصرين وهو العالم كولبرج.

وفي ضوء ما ذكر؛ تتمثل مشكلة الدراسة الحالية في الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:
ما أوجه الشبه والاختلاف في مفهوم الأخلاق ونموها وتربيتها في آراء ونظريتي كل من الامام الغزالي وكولبرج؟

ويتفرع عن السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما مفهوم الأخلاق عند الغزالي وكولبرج؟
٢. ما وسائل التربية الأخلاقية عند كل من الغزالي وكولبرج؟
٣. ما مراحل النمو الأخلاقي عند كل من الغزالي وكولبرج؟
٤. ما أوجه التوافق والاختلاف بينهما في مراحل النمو الأخلاقي؟

أهداف البحث:

١. التعرف على مفهوم الأخلاق عند كل من الامام الغزالي وكولبرج.
٢. التعرف على وسائل التربية الاخلاقية عند كل من الغزالي وكولبرج.
٣. التعرف على مراحل النمو الأخلاقي عند كل من الغزالي وكولبرج.
٤. التعرف على أوجه التوافق والاختلاف بينهما في مراحل النمو الأخلاقي.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في النقاط الآتية:

أولاً: الأهمية العلمية:

١. تتأني أهمية البحث من أهمية موضوعه والأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، ومن المتوقع أن تفيد الباحثين في التعرف على نظرية الاخلاق التي دعا اليها الإمام الغزالي، وظهرت في شخصيته، ومؤلفاته، بحيث تكون مرجعاً سابقاً لهم في موضوع التربية الأخلاقية.
٢. مقارنة فلسفة ونظرية الامام الغزالي بأحد المنظرين المعاصرين وهو العالم كولبرج.
٣. قد تكون الأولى من نوعها وبالتالي سترصد المكتبة العربية بأدب نظري يتعلق بتصورات الامام الغزالي حول التربية الأخلاقية.

ثانياً: الأهمية العملية:

١. تقديم نموذج واقعي للشخصية الإسلامية، وما ينبغي أن تكون عليه، مما يفيد المؤسسات التربوية في أخذ العديد من تلك الجوانب والاستفادة منها في تربية الأفراد.
٢. القاء الضوء على أهم التطبيقات التربوية لنظرية الامام الغزالي في النمو الأخلاقي؛ وعليه يمكن أن يستفيد منها مخططوا المناهج الدراسية.

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث المنهج التحليلي الاستنباطي الذي يقوم على تحليل آراء الغزالي المتعلقة بالتربية الأخلاقية الواردة في مؤلفاته وبعض الدراسات التربوية ذات العلاقة ، وكذلك في تحليل آراء كولبرج الواردة في نظريته في النمو الأخلاقي وما ورد من دراسات فيهما.

حدود البحث:

اقتصر موضوع البحث على نظرية الاخلاق عند الامام حجة الاسلام الغزالي من خلال قراءة تحليلية في حياته ومؤلفاته والدراسات التي بحثت في الأخلاق، ومقارنتها مع نظرية كولبرج (Kohlberg) في النمو الأخلاقي.

نتائج الدراسة**أولاً: مفهوم الأخلاق عند الغزالي**

الغزالي هو زين الدين محمد بن محمد الغزالي الطوسي والمعروف باسم أبو حامد الغزالي، وولد في طبران من مدن طوس من خراسان عام ٤٥٠ هجرية (١٠٥٩ ميلادية)، وقد لقب بالغزالي كما يرى البعض نسبة إلى إحدى قرى طوس تدعى غزالة، بينما يرى البعض الآخر أن لقب الغزالي جاء نسبة إلى صناعة الغزل؛ فالغزالي مثل (العطاري والخبازي بلغة أهل خراسان) ، لقب بحجة الإسلام والفيلسوف والمتصوف (الزركلي، ٢٠٠٢م).

وقد كان والده فقيراً صالحاً لا يأكل إلا من كسب يده؛ حيث كان يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس، وكان يذهب في أوقات فراغه إلى مجالسة العلماء ويطوف عليهم ويتوفر على خدمتهم، ويجد في الإحسان إليهم والتفقه بما يمكنه عليهم، وكان إذا سمع كلامهم بكى وتضرع إلى الله أن يرزقه ابناً فقيهاً وواعظاً، فرزقه الله بولدين هما: أبو حامد وأخوه أحمد (خلكان، ١٩٧٢م).

أما عن أهم صفاته التي كان يتحلى بها؛ فقد كان شديد الذكاء، شديد النظر، عجيب الفطرة، مفرط الإدراك، قوي الحافظة، بعيد الغور، غواصاً على المعاني الدقيقة، حتى وصفه أستاذه الجويني، بقوله: الغزالي بحر مغدق (الغزالي، د ت).

فلسفة (نظرية) الغزالي الأخلاقية:

لم يكن علم الأخلاق بالعلم المحدث أيام (الغزالي) فكثيرون أولئك الذين تناولوا مسائل الفلسفة الأخلاقية قبله، سواءً أكان في الفكر العربي الإسلامي أم في الفكر اليوناني. وتأثرت كتابات الغزالي الأخلاقية ومفهومه للأخلاق بالحياة والنشأة التي نشأ بها ، وما ورثه عن أبيه، ولاسيما أنه كتب معظم كتبه بعد مرضه، واضطراره مفارقة العراق ثم عودته إلى الحجاز حاجاً ثم في نهاية المطاف استقر به المقام في طوس حيث لازم بيته هناك إلى أن توفي رحمه الله (مبارك، ١٩٨٠).

وتناول الغزالي المسألة الأخلاقية في عدة مؤلفات من أهمها: إحياء علوم الدين، وميزان العمل، ومنهاج العارفين، والأربعين في أصول الدين، والأدب في الدين، ونصيحة الملوك، والقواعد العشرة، والمنقذ من الضلال، وخلق المسلم. ويرى الغزالي أن الخلق عنده جانبان: فطري جبلي، وجانب مكتسب يمكن تربيته، بمعنى أن الخلق له وسائله وأساليبه، ويحتاج إلى مجاهدة "وتدريب، وقد ركز الإمام الغزالي على أسلوب المجاهدة لأنه يساعد النفس الإنسانية على الارتقاء من مرتبة النفس الأمارة بالسوء إلى مرتبة النفس الراضية (البريزات، ١٩٨٤) ، حيث عرف الخلق بأنه هيئة راسخة في النفس تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية" (الغزالي، ١٩٨٦).

وفي تناول الغزالي لمفهوم الأخلاق كان يميز بين الخلق كسجية وطبع وبين حسن الخلق، حيث يذكر في كتابه الإحياء "أن الهيئة إذ اصدرت عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن صدرت عنها الأفعال القبيحة سميت تلك الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً، فالخلق ليس هو فعل الجميل أو القبيح، ولا القدرة على فعل الجميل أو القبيح، ولا التمييز بين الجميل والقبيح، وإنما هو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر عنها الإمساك والبذل"، فالخلق عنده كما يقول: هيئة النفس وصورتها الباطنة (الغزالي، ١٩٨٦).

ويؤكد الغزالي: أن حسن الخلق يحصل من خلال الجود الإلهي والكمال الفطري بحيث يولد الإنسان كامل العقل حسن الخلق، ولا يبعد أن يكون في الطبع، والفطرة ما قد ينال بالاكْتساب، ويحصل ذلك بالاعتقاد، واكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة، فمثلاً من أراد لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف تعاطي فعل الجواد وهو بذل المال، حتى يصير ذلك طبعاً له، وجميع الأخلاق المحمودة شرعاً تحصل بهذا الطريق (الغزالي، ١٩٨٦). لأن غاية الأخلاق كما يرى (الغزالي) هي سعادة الآخرة فلا بد من أن يستقي الفعل الأخلاقي قيمته من الإيمان بالله وما يقتضيه هذا الإيمان من التزام بالأوامر والنواهي، ولذلك لجأ الإمام (الغزالي) "إلى القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ليستمد منهما علامات الخلق الحسن ومؤشراته، ولا يكفي بذلك بل يقدم لنا هذه العلامات على صنفين فيقول: وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال: هو أن يكون المرء كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح صدوق اللسان، قليل الكلام كثير العمل، قليل الزلل قليل الفضول، براً وصولاً وقوراً صبوراً شكوراً رضيعاً حليماً رقيقاً عفيفاً شقيقاً، لا لعناً أو لا سباباً ولا نمماً ولا مغتاباً ولا عجولاً ولا حقوداً ولا بخيلاً ولا حسوداً، بشاشاً هشاشاً يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله، فهذا هو حسن الخلق" (الغزالي أ، ١٩٨٦)، وفي ضوء ذلك عرف الغزالي حسن الخلق بأنه "إصلاح القوى الثلاث: قوة التفكير، وقوة الشهوة، وقوة الغضب". وفي موضع آخر يعرفها: "فعل ما يكره المرء" (الغزالي ب، ١٩٨٦). ويرى الغزالي أن التربية الأخلاقية تتمثل بالجانب العملي وهو محور الصفات الرديئة من النفس وتطهيرها منها، مع مجاهدة النفس لغرس الصفات الفاضلة وتنشيتها فيها.

منهج التربية الأخلاقية عند الغزالي:

يرى الغزالي أن النفس البشرية ليست خيرة في ذاتها، ولا هي أميل إلى الشر، فهي خالصة تصلح لأن ينقش عليها الخير أو الشر ففي النفس البشرية استعداد لفعل الخير وفعل الشر، بمعنى أنها ليست خيرة وليست شريرة بالطبع، فهي صالحة للأمرين معاً، ويؤكد الغزالي ذلك بقوله: "وإنما يترجح أحد الجانبين بإتباع الهوى والإنكباب على الشهوات، والإعراض عنها ومخالفتها، فإن اتبع الإنسان الهوى، وغلبت الشهوات عليه صار سيء الخلق، وإن جاهد هواه وقاوم شهوته صار حسن الخلق" (الغزالي أ، ١٩٨٦).

وأكد الغزالي أن هناك عدة وسائل للتربية الأخلاقية تتمثل فيما يلي:

أ. **تربية الإرادة:** يؤكد الغزالي أن أهم وسائل التربية الأخلاقية تربية الإرادة وسماها أحياناً بالمجاهدة والرياضة، حيث يقول في كتابه الاحياء إن "المانع من الوصول إلى عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الإرادة والمانع من الإرادة عدم الإيمان" (الغزالي، ١٩٨٦). وتربية الإرادة عند الغزالي تتم عن طريق الآتي:

ب. **الحفظ من قرناء السوء (صحبة الأخيار):** يرى الغزالي أن من وسائل تربية الخلق والإرادة الاعتقاد على الخلق ومخالطة المتخلفين بهذه الأخلاق، والصحبة لها أثرها في النفس الإنسانية، فالمرء على دين خليله، وكل قرين بالمقارن يقتدي.

ت. **التعلم:** حيث افترض الغزالي أن جانباً من الأخلاق مكتسب مما يعني أن التعلم والتدريب ممكن لتربية الأخلاق عند النشء، وهذا ما يراه الغزالي فيقول: ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكْتساب وربما يحصل بالتعلم، ويرى أن المعرفة تتم بطريقتين: التعلم المعهود والتعلم الرباني، ومن هنا يمكن اعتبار أن التربية الأخلاقية هي عملية التعريف بالمبادئ الأخلاقية نظرياً، والتدريب عليها عملياً بوسائل مختلفة (البريزات، ١٩٨٤).

ث. **مراعاة الاستعدادات والميول للتربية الأخلاقية:** ويرى الغزالي أن النفوس تتفاوت في استعداداتها لاكتساب الأخلاق، وهذا أقرب إلى مبداء الفروق الفردية والذي يبحث في

انحرافات مستوى أداء الأفراد عن المتوسط الجماعي في الصفات المختلفة جسمية كانت أو عقلية أو نفسية (شاكرا، ٣٨، ١٩٩٨).

ج. **الالتزام بالسلوك الأخلاقي الكامل:** وحول هذا المبدأ يرى الغزالي أن من علامات اكتمال التربية الأخلاقية عند الفرد أن تصبح سمة وطبعاً له، وتصدر عنه بسهولة ويسر وتصبح الأخلاق والالتزام بها عملياً لدى الفرد (الربابعة والمطالقة والعزام، ٢٠١٤). وفي هذا يقول الغزالي في كتاب أحياء علوم الدين: "فيماذا أعلم أن الحاصل هو الخلق الجميل.. فطريقك أن تنظر في الأفعال التي يوحىها ذلك الخلق الذي فيه مجاهدتك، فإذا التذنت بفعله فاعلم أن الخلق الموجب له راسخ في نفسك. ويذكر الغزالي في مواضع أخرى بأن علامة اكتمال التربية الأخلاقية هي أن تصير الأخلاق طبعاً له فتصدر عنه بسهولة ويسر، دون روية وفكر، وأن يصير السلوك الأخلاقي محبباً له، وأن يتنغم به، ويكره الأفعال القبيحة" (الغزالي، ١٩٨٦).

ح. **القياس بالمرادود الأخلاقي الواقعي النفسي:** ذلك أن الناس ليسوا متساوين في علو الهمة، وفي تقدير الواجبات وتقديسها، فمنهم من لا يعمل ولا يؤدي الواجبات، ولا يترك المعاصي إلا لكسب ثواب أو لتجنب عقاب، فإذا كان ذلك مرتبطاً برجاء الثواب من الله، والخوف من عقابه لا من غيره فهو مقبول.

مراحل النمو الاخلاقي عند الغزالي:

يرى الغزالي أن مفهوم الأخلاق يمر عند الانسان في المراحل التالية:

١. **المرحلة المادية الحسية:** وتمتد هذه المرحلة من فترة الطفولة المبكرة، وجزءاً من المرحلة الابتدائية الدنيا إلى سن التمييز، حيث تتكون لديه المبادئ الأخلاقية المتصلة بالثواب والعقاب الماديين، لأن الطفل في هذه المرحلة لا يستطيع فهم المعاني المجردة، فلا بد من ربط الثواب والعقاب بشيء حسي ملموس.

٢. **المرحلة المعنوية العقلية:** وتمتد من مرحلة ما قبل البلوغ قليلاً، فتدخل فيها المرحلة الابتدائية العليا والثانوية، وقد تمتد طويلاً، حيث يصبح الفرد في هذه المرحلة قادراً على فهم المعاني المجردة دون ربطها بمعايير مادية، فيتربى خلقياً بمعاني المدح والذم، وبذلك يمكن تعديل السلوك بالتعزيز المعنوي.

٣. **المرحلة المثالية:** وهي مرحلة تقديس الأوامر والنواهي الأخلاقية، وربطها برضا الله تعالى، وابتغاء مرضاته، وهذه المرحلة فلما يصل إليها أحد، وهذه المرحلة قد تتداخل زمنياً مع المرحلة التي قبلها حيث تمتد من مرحلة البلوغ والرشد إلى ما بعدها، فقد يصل متعلم في المرحلة الابتدائية العليا أو الثانوية إلى مرحلة مراقبة الله تعالى في السر والعلن (الربابعة ومطالقة والعزام، ٢٠١٤).

نظرية كولبرج (Kohlberg) في النمو الأخلاقي

يعد العالم لورانس كولبرج Kohlberg (1968) من أشهر العلماء المعاصرين والذين تناولوا مفهوم الأخلاق ونموها، وقدم نموذجاً يفسر فيه مراحل النمو الأخلاقي عند الانسان. وكانت نظرية "بياجيه" ومبادئها هي الأساس التي بنى عليها كولبرج نظريته في النمو الأخلاقي، وطور نظرية أكثر شمولاً وتطوراً للنمو الأخلاقي تبنى في أساسها على مراحل التطور المعرفي التي جاء بها بياجيه. ولا تزال أفكار كولبرج في النمو الأخلاقي تشكل الإطار المرجعي الشامل للعديد من الدراسات في ميدان النمو الأخلاقي. لقد اهتم كولبرج بالدرجة الأولى بمستوى نمو الأحكام والمفاهيم الأخلاقية للطفل، وأكد وجوب النظر إلى الطفل كفيلسوف أخلاقي (Bergling، 1991؛ الحمود، ١٩٩٥؛ المومني، ٢٠٠٥).

ومن خلال دراسته عدداً من الأطفال من جنسيات مختلفة استطاع كولبرج أن يتوصل إلى أن التفكير الأخلاقي يتطور في ثلاثة مستويات تكوّن ما مجموعة ست مراحل هي:

المستوى الأول: مستوى ما قبل التقاليد، أي ما قبل العرف والقانون (Pre-conventional Level) (الولادة-٩ سنوات)

يقع ضمن هذا المستوى معظم الأطفال دون سن التاسعة وعدد قليل من المراهقين وقلة من ذوي السلوك المنحرف. وتكون الأخلاق في هذا المستوى قائمة على أساس النتائج المادية للسلوك؛ فالسلوك الذي يتبعه عقاب هو سلوك سيئ أما السلوك الذي يتبعه تعزيز فسلوك جيد. ويتكون هذا المستوى من مرحلتين:-

المرحلة الأولى: مرحلة التوجه نحو الطاعة و تجنب العقاب

المرحلة الثانية: مرحلة التوجه النسبي الأداي أو الهدف المنفعي(الحمود والعنوم، ١٩٩٧).

المستوى الثاني: مستوى التقاليد، العرف والقانون (Conventional Level) (٩-١٥ سنة)

يقع ضمن هذا المستوى معظم المراهقين والراشدين في أي مجتمع، ويعني العرف والقانون أن الفرد يتمسك بقواعد المجتمع وتقاليد، وتصبح قوانين المجتمع في هذا المستوى حرفية وجامدة، يرى الطفل أن الفعل الجيد واجب من واجباته الأساسية، ويتكون هذا المستوى من مرحلتين :-
المرحلة الثالثة: مرحلة الولد الجيد أو البنت الجيدة
المرحلة الرابعة: مرحلة التوجه نحو القانون والنظام الاجتماعي(توق، ٢٠٠٣؛ شريم، ٢٠٠٤).

المستوى الثالث: مستوى ما بعد التقاليد (العرفي) (Post conventional Level) (١٦ سنة فما فوق)

وهنا يكون العرف والقانون أساس القيم والمبادئ الأخلاقية، والنمو الأخلاقي. يهرب الأفراد في هذا المستوى من قيود السلطة والمجتمع ويصبحون قادرين على تنظيم المبادئ الأخلاقية وإعادة تحليلها، حيث يصدر أحكامهم الأخلاقية بناءً على المبادئ الأخلاقية العامة وليست طبقاً للأعراف السائدة، ويتكون هذا المستوى من مرحلتين:-
المرحلة الخامسة: مرحلة التوجه العام نحو العقد الاجتماعي (أخذ ما اتفق عليه الناس).
المرحلة السادسة: مرحلة التوجه نحو المبدأ الأخلاقي العام (العالمي) (المومني، ٢٠٠٥).
وتميزت مراحل النمو الأخلاقي عند كولبرج بالخصائص التالية (الحمود، ١٩٩٥؛ نشواتي، ١٩٩٧؛ Berk، 1989):

١. تحتوي هذه المراحل على فروق كيفية في الأبنية المعرفية، التي تعكس أنماط التفكير التي تؤدي الوظيفة العقلية. فالتغير الذي يحدث من مرحلة إلى مرحلة يشير إلى عملية تعديل للبنية الموجودة أصلاً عند الأفراد، بحيث تتكيف البنية المعرفية للفرد مع متطلبات المجتمع.
٢. تسير مراحل النمو الأخلاقي بشكل ثابت ومتتابع في حياة الفرد، ولا يمكن للفرد أن يتخطى مرحلة من مراحل نموه قبل المرور بالمرحلة السابقة لها. علماً بأن هناك بعض العوامل الثقافية والبيئية التي تؤدي إلى تسريع النمو الأخلاقي أو إعاقة.
٣. تشكل مراحل النمو الأخلاقي، تكاملاً هرمياً متدرجاً، فالتفكير الذي يسود في مرحلة متقدمة يحتوي المراحل الأقل تقدماً أو المراحل السابقة.
٤. تعد كل مرحلة من مراحل النمو الأخلاقي نسقاً منظماً، فكل مرحلة لها خصائصها المميزة، والاستجابة لموقف ما تتحدد بحكم أخلاقي صادر عن مرحلة معينة لها تنظيم فكري محدد.
٥. تسود هذه المراحل الأخلاقية عند الأفراد في جميع الحضارات، فهي مراحل عالمية ولا تقتصر على بيئة أو ثقافة معينة، ولكن يبقى دور البيئة في عملية تسريع النمو أو عدم تسريعه من خلال تفاعل الفرد مع بيئته.

مدى تطابق نظريات التربية الأخلاقية في فلسفة الغزالي الأخلاقية مع نظرية كولبرج:

يمكن ايجاز أوجه التطابق بين نظريتي كل من الغزالي وكولبرج في النمو الأخلاقي في النواحي التالية:

أولاً: اتفق العالمان على وجود مراحل للنمو الأخلاقي ووجود التنظيم الهرمي المرحلي في النمو الأخلاقي، فالمرحلة تسير تدريجياً وتكون مرتبة بشكل هرمي. وأن التربية الأخلاقية لا بد أن تكون على مراحل واتفقا على أن كل مرحلة لها أساليبها لاكساب النشء مبادئ التربية الأخلاقية.

ثانياً: استخدام مبدأ الثواب والعقاب في التربية الأخلاقية: حيث أكد كولبرج أن الأخلاق في هذا المستوى الأول قائمة على أساس النتائج المادية للسلوك؛ فالسلوك الذي يتبعه عقاب هو سلوك سيئ أما السلوك الذي يتبعه تعزيز فسلوك جيد (المومني، ٢٠٠٥)، وهذا ما أشار إليه الغزالي وهذا المبدأ يستخدم مع الطفل منذ فترة الطفولة المبكرة لأن الطفل يعجز عن فهم المعاني المجردة.

ثالثاً: تأكيد مبدأ التدرج في التربية الأخلاقية: وفي هذا الصدد أكد كولبرج أن مراحل النمو الأخلاقي تسير بشكل ثابت ومنتابح في حياة الفرد، ولا يمكن للفرد أن يتخطى مرحلة من مراحل نموه قبل المرور بالمرحلة السابقة لها (الحمود، ١٩٩٥؛ نشواتي، ١٩٩٧؛ Berk، 1989). ويرى الغزالي أنه لا يمكن الوصول إلى مرحلة تقديس الأوامر والنواهي دفعة واحدة بل لا بد من استخدام وسائل معينة تبعاً للمرحلة العمرية والفروق الفردية، وهذا ما أسماه كولبرج Kohlberg بالمبادئ الأخلاقية العامة وهي المرحلة النهائية للأخلاق يسبقها التوجه للانتماء الأخلاقي من خلال الثواب والعقاب، وتبادل المنفعة ثم الخضوع للأعراف الاجتماعية والقوانين إلى أن يصل إلى تلك المرحلة (الربابعة ومطالقة والعزام، ٢٠١٤).

رابعاً: وجود مبدأ الفروق الفردية في التربية الأخلاقية (٤) (البخاري، ١٤٢٤ هـ): أكد الغزالي أن أكثر الناس لا يتجاوزون المرحلتين الأولى والثانية وقليل يصل إلى المرحلة الثالثة. وأن مرحلة تقديس الأوامر والنواهي الأخلاقية، وربطها برضا الله تعالى، وابتغاء مرضاته، قلما يصل إليها أحد، وهذه المرحلة قد تتداخل زمنياً مع المرحلة التي قبلها حيث تمتد من مرحلة البلوغ والرشد إلى ما بعدها، فقد يصل متعلم في المرحلة الابتدائية العليا أو الثانوية إلى مرحلة مراقبة الله تعالى في السر والعلن" (الربابعة ومطالقة والعزام، ٢٠١٤). وهذا ما أشار إليه كولبرج بأن مستوى ما بعد العرف والقانون يصل إليه قليل من الراشدين (الغزالي، دت؛ زكي، ١٩٨٠).

خامساً: تحديد المرحلة العمرية، حيث أكد كليهما على أن عامل العمر الزمني يعد من أهم العوامل المؤثرة في النمو الأخلاقي والعوامل المؤيدة لوجود مسار نمائي في النمو الأخلاقي.

سادساً: انفرد الامام الغزالي بربط النمو الأخلاقي بالأساس العقدي أو الفلسفي للانسان؛ حيث أكد أن مرحلة تقديس الأوامر والنواهي الأخلاقية (هرم الأخلاق) ترتبك برضا الله تعالى، وابتغاء مرضاته.

ورغم هذا الاتفاق بين كولبرج والغزالي إلا أنهما يختلفان في بعض الأمور منها:

١. حدد كولبرج وصفاً أكثر شمولية في تفسير النمو الأخلاقي من الامام الغزالي، فقد قدم شرحاً دقيقاً لكل مستوى ومرحلة ومبررات للحكم الأخلاقي كما حدد العمر الزمني بدقة حيث تكونت المراحل عند الغزالي ثلاثة مراحل في ستنة مستويات، بينما قدم الغزالي وصفاً عاماً لمرحلة عامة للنمو الأخلاقي يتكون من ثلاثة مراحل.
٢. يرى كولبرج أن الفرد لا يصل إلى قمة هرم النمو الأخلاقي إلا في سن الخامسة والعشرين، بينما يرى الغزالي أن مرحلة النمو تكون من مرحلة الرشد فما بعد.
٣. قدم كولبرج مقياساً لقياس مستوى النمو الأخلاقي من خلال استخدام قصصاً تدور حول أكثر بعد واحد في نفس الوقت من أبعاد الأخلاق لقياس النمو الأخلاقي. فيما لم يقدم ذلك الغزالي.

٤. حدد كولبرج العرف والقانون كأساس للقيم والمبادئ الأخلاقية، والنمو الأخلاقي، فيما ربط الغزالي المرحلة المثالية في النمو الأخلاقي وهي مرحلة تقديس الأوامر والنواهي الأخلاقية، وربطها برضا الله تعالى، وابتغاء مرضاته.

التطبيقات التربوية لنظرية الغزالي في الأخلاق

هناك عدد من التطبيقات التربوية التي يمكن استنباطها من فلسفة الغزالي الخلاقية، وقد تم تقسيمها حسب مؤسسات التنشئة الاجتماعية كما يلي:

أولاً: التطبيقات التربوية في الاسرة:

يمكن تطبيق نظرية الاخلاق للغزالي في الاسرة عند تربية الأبناء وتنشئتهم من خلال التوجيهات التالية للوالدين ومراعاة الجوانب التالية في تنشئتهم لأبنائهم، لغرس القيم الخلقية في نفوسهم، وفوزهم بسعادة الدارين ونجاتهم:

- تأصيل التوحيد في نفوس الأبناء، والاهتمام بتطبيقاته العملية، من خلال ربطهم بالله تعالى، ودعاه وحده دون غيره من المخلوقات، وتدريبهم على أن لا يلجأوا لأحدٍ سواه سبحانه..
- تعريف الأبناء بالأخلاق الحسنة والسيئة، وكيف يحكمون عليها، ومعرفة محاسنه اوضررها عليهم وعلى مجتمعهم، في الدنيا والآخرة.
- غرس قيمة الصلاة في نفوسهم، والمواظبة عليها ، واهتمام الآباء بصلاة الجماعة في المسجد مع الأبناء ، وحلقات القرآن وتحبيبهم فيها، لترتبط قلوبهم بالصلاة، للابتعاد عن سوء الأخلاق مصداقاً لقوله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (العنكبوت: ٤٥).
- غرس اعمال التطوع عند الأبناء مثل: نبذ الحسد والحقد والرياء، إماطة الأذى عن الطريق، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التبسم في وجوه من نقابلهم، والمبادرة باللقاء السلام.

ثانياً التطبيقات التربوية في المدرسة:

مراعاة الجوانب التالية في العملية التعليمية وتربية الطلاب والطالبات للمساعدة على تطبيق نظرية الاخلاق كما ذكرها الغزالي:

- أن تكون بيئة المدرسة بيئة صالحة، يمثل كل العاملون فيه قدوة صالحة للطلاب، في الانضباط وحسن الاعتقاد، والاهتمام بالطلاب والطالبات ورعايتهم، وتهذيب نفوسهم وتوجيههم ليكون أفراداً صالحين، من خلال الدروس والأنشطة التعليمية الصفية وغير الصفية على اختلافها.

- الحرص على أداء الصلوات في أوقاتها في المدرسة.

-توظيف النشاط الطلابي لغرس القيم الخلقية نفوس الطلاب، من خلال الأعمال الفنية كالمسرحيات والمقاطع التمثيلية والأناشيد الهادفة، والمعارض، والندوات، والأعمال المختلفة للأنشطة المتنوعة، والإذاعة المدرسية، وغيرها.

- أن يهتم مخطوطو المقررات الدراسية بتحقيق القيم والمثل العليا في نفوس الطلاب، من خلال التطبيقات التربوية العملية، التي يمكن قياسها، والتي توجه الطلاب إلى ممارسات وسلوكيات ، وليس مجرد حفظ المعلومات وتعليم، لان الدين الاسلامي دين وعمل ونظرية وتطبيق.

توظيف الإعلام التربوي في المدارس والإدارات التعليمية لتحقيق القيم الخلقية لدى الطلاب والطالبات ضمن أنشطته وبرامجه.

ثالثاً التطبيقات التربوية في المجتمع:

ويمكن الاستفادة منه لتطبيق نظرية الاخلاق عند الغزالي في المجتمع:

(١) توجيه وسائل الإعلام في العالم العربي والإسلامي أن تؤدي رسالتها نحو تصوير

أخلاق مذهب وجميل وان تبتعد عن الأعلام الهزيل والرذيل والموحش ، وان تتصدى

للقيم والاتجاهات الهابطة التي تقدم لقصده أو من غير قصد في المادة الإعلامية.
٢) تأسيس مواقع إنترنت مميزة، تتضمن مواد إعلامية شيقة ومميزة لتربية القيم والأخلاق وتهذيب النفوس، وجذب الشباب والشابات من خلال التنوع والتصميم المناسب لاحتياجاتهم.

التوصيات:

١. اعداد برامج ارشاد وتوجيه للآباء والأمهات لمراعاة الجوانب التالية والتي أكد عليها الغزالي في تنشئتهم لأبنائهم، سعياً لغرس القيم الخلقية في نفوسهم، وفوزهم بسعادة الدارين ونجاتهم:
- تأصيل التوحيد في نفوس الأبناء، والاهتمام بتطبيقاته العملية، من خلال ربطهم بالله تعالى، ودعاه وحده دون غيره من المخلوقات.
- تبصير الأبناء بالحسن والقبیح بالجيد والسيء من الأفعال والأقوال، وكيف يتعرفون عليها، ومحاسنها وضررها عليهم وعلى مجتمعهم، في الدنيا والآخرة.
٢. ينبغي أن يهتم مخطوطو المقررات الدراسية بتحقيق القيم والمثل العليا في نفوس الطلاب من خلال تضمين نظرية التربية الأخلاقية في المناهج الدراسية ولاسيما مناهج التربية الإسلامية ومن خلال التطبيقات التربوية العملية، التي يمكن قياسها، والتي توجه الطلاب إلى ممارسات وسلوكيات.
٣. إجراء دراسة ميدانية حول التطبيقات التربوية لنظرية التربية الأخلاقية عند الغزالي كروية إسلامية للتربية في المدارس.

قائمة المصادر والمراجع:

- خيشة، عبد المقصود عبد الغني. (١٤١٢هـ-١٩٩١م). تهذيب الأخلاق في الإسلام. القاهرة: دار الثقافة العربية. ص ١٨.
- ١. يالجن، مقداد. (١٤٢٣هـ) التربية الأخلاقية الإسلامية. الرياض: دار عالم الكتب، ط ٣. ص ٨٠.
- (١) القرآن الكريم.
- (٢) السنة النبوية.
- (٣) هيئة التحرير. (٢٠١٤). التربية الأخلاقية عند الامام الغزالي وعلاقتها بالتصوف وتطبيقاتها المعاصرة. مجلة المنارة للبحوث والدراسات - الاردن. ص ص ٤٥٩-٤٦٠.
- (٤) البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م). صحيح البخاري. الرياض: مكتبة الرشد ناشرون، ط ١. كتاب الرقاق. باب القصد والمداومة على العمل.
- (٥) البريزات، عبد الحفيظ احمد، نظرية التربية الأخلاقية عند الغزالي، مطبعة الصفدي، عمان ١٩٨٤،
- (٦) الجوزي، ابن القيم. (د.ت). المنتظم في تاريخ الملوك والامم. نقلا عن موقع المكتبة الإسلامية (<http://www.al-eman.com/Islamlib>).
- (٧) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد. (١٩٨٤م). سير أعلام النبلاء. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرحالة.
- (٨) الغزالي، محمد بن محمد. (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م). إحياء علوم الدين. دمشق- بيروت: دار الندوة الجديدة- دار الحكمة.
- (٩) الغزالي، أبو حامد. (١٩٩٢م). المنقذ من الضلال. تحقيق: محمود بيجو. دمشق: مطبعة الصباح.
- (١٠) الحسيني، محمد محمد. (د.ت). تاج العروس في جواهر القاموس. دار الهدية. ص ٤٩.
- (١١) الفيومي، احمد محمد. (١٣٤٥هـ). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. لبنان- بيروت: المكتبة العلمية.

- (١٢) ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٤١٤هـ). لسان العرب. لبنان- بيروت: دار صادر.
- (١٣) بن فارس. أحمد. (د.ت). مقاييس اللغة. تحقيق عبدالسلام هارون. بيروت: دار الفكر.
- (١٤) تيماشيف. (١٩٧٤م). النظرية الاجتماعية-الطبيعية والنمو. ترجمة محمد الجوهري و
آخرون
- (١٥) خيشة، عبد المقصود عبد الغني. (١٤١٢هـ-١٩٩١م). تهذيب الأخلاق في الإسلام.
القاهرة: دار الثقافة العربية.
- (١٦) شحاتة، حسن و النجار، زينب (٢٠٠٣م). معجم المصطلحات التربوية والنفسية. مصر-
القاهرة: دار الكتاب اللبناني.
- (١٧) فوده، صالح و حلیم، عبدالرحمن. (١٤١٢هـ). المرشد في كتابة الأبحاث التربوية. جدة
: دار الشروق.
- (١٨) مبارك، زكي. (١٩٨٠م). الأخلاق عند الغزالي. بيروت: منشورات المكتبة العصرية.
- (١٩) محمود، حمدي شاكر. (١٤١٨هـ-١٩٩٨م). مبادئ في علم النفس النمو في الإسلام.
السعودية: دار الأندلس.
- (٢٠) مختار، أحمد عبدالحميد. (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم
الكتب.
- (٢١) مصطفى، ابراهيم، وآخرون. (د.ت). المعجم الوسيط. دار الدعوة.
- (٢٢) هيئة التحرير. (٢٠١٤). التربية الاخلاقية عند الامام الغزالي وعلاقتها بالتصوف
وتطبيقاتها المعاصرة. مجلة المنارة للبحوث والدراسات -الاردن.
- (٢٣) يالجن، مقداد. (١٤٢٣هـ). التربية الاخلاقية الإسلامية. الرياض: دار عالم الكتب.
- (٢٤) <http://mawdoo3.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%>
- (٢٥) <https://hrdiscussion.com/hr17129.html>
- (٢٦) <http://www.faifa1.com/vb/showthread.php?t=21523>
- (٢٧) <http://mawdoo3.com/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%82>

28) (46) Shaffer, *Social and personality development.*, (2009).